

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رِيَاضُ الصَّالِحِينَ

## بعض ما ورد عن السلف في باب قضاء حوائج المسلمين ١

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب قضاء حوائج المسلمين، نورد بعض الآثار المنسوبة عن السلف -رضي الله عنهم- مما يصلاح في هذا الباب، يقول أبو داود الطيالسي -رحمه الله-: كنا عند شعبة بن الحجاج، فجاء سليمان بن المغيرة يبكي، قال: مات حماري وذهبت مني الجمعة، وذهبت حوائجي، قال شعبة: بكم أخذته، قال: بثلاثة دنانير، قال شعبة: فعندى ثلاثة دنانير، والله ما أملك غيرها، ثم دفعها إليه، ومن ذلك أيضاً ما جاء عن النظر بن شميل -رحمه الله- أنه قال في شعبة -رضي الله عنه-: ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة، الإمام الجليل المعروف، صاحب الحديث، ودخل أبوأسامة على ابن المبارك، فوجد عبد الله بن المبارك في وجهه هذا الداخل أثر الضر، فلما خرج بعث إليه أربعة ألف درهم، فكتب إلى ابن المبارك قائلاً:

وفتي خلا من ماله \*\*\* ومن المروءة غير خالي

أعطاك قبل سؤاله \*\*\* وكفاك مكروه السؤال

فهو بمجرد أن رأى الحاجة في وجهه، لم يوجه إلى أن يسأل وأن يطلب، وإنما بعث ذلك المال مواساة إليه قبل أن يطلب، وأرسل مرة، أعني: بن المبارك إلى العالم أبي بكر بن عياش بأربعة ألف درهم وقال: سد بهذا فتنة القوم عنك، أي: من أجل لا يحتاج إلى الكباء فيذل نفسه عندهم، ويقول الزبير بن بكار: كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعاري بن هاشم، وليس المقصود به التوب الواحد، وإنما المقصود أن العاري منهم يعطيه الثياب، وجفنة لجائعهم، وكان يمنع الجار أي: إذا استجار به أحد، ويذل المال، ويعطي في النواب، ولما توفي الزبير بن العوام -رضي الله عنه- لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: كم ترك أخي من الدين؟ فقال: ألف ألف، أي: مليون، قال: على النصف، يقول حكيم بن حزام: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها، وكثير منا إذا جاءه الحاج رأى أنها مصيبة، والله المستعان - وهذا ابن عمر -رضي الله عنه- كاتب غلاماً له بأربعين ألفاً، فخرج إلى الكوفة، وكان يعمل على حمر له، كاته، أي: هذا مملوك لابن عمر، فابن عمر قال له: سدد أقساطاً ما مجموعه هذا القدر، وهو أربعون ألفاً أعتقك بها، واتفق معه على مدة معينة، ويدهب هذا العبد ويعمل، وفي كل مرة يعطيه قسطاً ثم قسطاً آخر حتى يكتمل هذا المبلغ، فخرج هذا الغلام المملوك إلى الكوفة، وكان يعمل على حمر له يؤجرها، حتى أدى خمسة عشر ألفاً، فجاءه إنسان فقال له: أمحنون أنت، أنت هنا تعذب نفسك، وابن عمر يشتري الرقيق يميناً وشمالاً ثم يعتقهم، ارجع إليه فقل: عجزت، فجاء إليه بصحيفة كتب لها خطاباً، فقال: يا أبا عبد الرحمن قد عجزت وهذه صحيفة فامحها، أي: الصحيفة التي فيها المكاتب وعقد الاتفاق، وشرعأ إذا لم يستطع العبد أن يأتي بالمبلغ، فيكون المال الذي دفع من حق السيد،

ويرجع ذاك إلى الرق، هذا حكم المكاتب، يقول له: عجزت فجاء إليه بصحيفة فقال: يا أبا عبد الرحمن قد عجزت وهذه صحيفتي فامحها، فقال: لا، ولكن امحها أنت إن شئت، فمحاها، ففاضت عينا عبد الله وقال: اذهب فأنت حر، قال: أصلحك الله، أحسن إلى ابني، أبناؤه أيضاً أرقاء، قال: هما حران، قال: أصلحك الله أحسن إلى أمي ولدي، قال: هما حرتان، يعني: زوجات هذا الرقيق، ووفد أعشى همدان على النعمان بن بشير، وكان أمير حمص، فصعد المنبر فقال: يا أهل حمص، وكانوا في الديوان عشرون ألفاً، هذا ابن عمكم، من أهل العراق، والشريف جاء يستر福德كم، أي: يطلب العون بما ترون؟ قالوا: أصلاح الله الأمير احتكم له، فأبى عليه، فقالوا: فإننا قد حكمنا له على أنفسنا بدينارين دينارين، أي: أنهم قالوا له: احكم فأبى، فحكموا على أنفسهم كل واحد بهذا القدر، قال: فجعلها له من بيت المال، أربعين ألف دينار، يقول ابن عيينة: كان سعيد بن العاص إذا قصده سائل وليس عنده شيء، قال له: اكتب علي سجلاً بمسائلك إلى الميسرة، وسأدفع لك هذا المبلغ أي: كأنه دين عليه، وذكر عبد الأعلى بن حماد، أن سعيد بن العاص استسقى من بيت فسقه، واتفق أن صاحب المنزل أراد بيعه لدين عليه، فأدى إليه أربعة آلاف دينار، وقيل: أنه أطعم الناس في قحط، حتى نفذ ما في بيت المال، وأدان فعزله معاوية، وهذا ابن سيرين يقول: بأن رجلاً جلب سكرا إلى المدينة، فකدد بلغ عبد الله بن جعفر، فأمر القهرمان أن يشتريه وأن ينهبه الناس، وعبد الله بن جعفر من أجواد الناس وأكرمهم، وأخباره في هذا عجيبة، لو قرأتم في تاريخ دمشق، لوجدتم أشياء تفوق الوصف من كرمه وجوده وبذله وإحسانه للناس، فالحاصل أنه جاء وأخذه منه، ودفعه إلى الناس، كل يأخذ ما شاء، وصلى الله على نبينا محمد.